سينما

الصالة خالية والفيلم لسبيلبيرغ

متعة مُشاهدةٍ في أجمل لحظةٍ

عشية انتهاء عام 2021، تفتح صالات كثيرة أبوابها في العالم، وإحداها تمنح المُشاهد متعة فائقة في متابعة فصول «قصة الحي الغربي» لسبيلبيرغ

نديم جرجوره

منذ 12 مارس/ آذار 2020، أغيبُ كلّياً عن مُشاهدة الأفلام في صالاتٍ سينمائية في بيروت. السفر ممنوع. العودة إلى المدينة تحدث قبل 3 أيام فقط على ذاك التاريخ، بعد زيارة عائلية إلى بلجيكا، وحضور الدورة الـ70 (20 فبراير/ شباط . 1 مارس/ آذار 2020) لـ«مهرجان برلين السينمائي». الفترة السابقة تَحرمُ كثيرين من الصالات والمهرجانات. إعادة فتح صالاتٍ عدّة في بيروت، في فترات متقطّعة، تحثّ على مُشاهدةٍ فيها، وهذا حاصلٌ مرّتين فيها. الإقامة في إسطنبول (5 أغسطس/ آب . 13 أكتوبر/ تشرين الأول 2021) تُتيح مشاهدة في الصالة مرّتين اثنتين أيضاً، فاللغات الأجنبية (باستثناء الإنكليزية والفرنسية، وهاتان نادرتان) عائقٌ، كالدبلجة إلى التركية. حضور الدورة الـ5 (14 . 22 أكتوبر/ تشرين الأول 2021) لـ«مهرجان الجونة السينمائي» يتعطّل لسبب شخصيّ، فأعود إلى بيروت سريعاً من دون مُشاهدة فيلمٍ واحدٍ في الصالة.

المرّة الأخيرة في بيروت تحدث في 14 ديسمبر/ كانون الأول 2021، لمُشاهدة «قصّة الحيّ الغربيّ» (2021) لستيفن سبيلبيرغ. يُثير الفيلم متعة مُشاهدةٍ. هذا مؤكّد. أفلام سبيلبيرغ، متنوّعة الأشكال والأساليب والمواضيع والمعالجات، تمنح مُشاهديها متعاً مختلفة، لبراعةٍ فائقةٍ في صُنع مشهديات بصرية تحمل، رغم تجاريّة بعضها، رسائل وحالات وانفعالات، وهذه تدعو إلى نقاشاتٍ كثيرة. نسخته من الكوميديا الموسيقية المشهورة، ذات العنوان نفسه (1957)، لليونارد برنشتاين وستفن سوندهايم وآرثر لورنتس، ومن الفيلم المقتبس عنها بالعنوان نفسه أيضاً (1961)، لجيروم روبنز وروبرت وايز، تمنح شيئاً عميقاً من صفاءٍ وسكينةٍ، رغم عنف حارات وشدّة نزاعات، وقوّة حبّ يُشعِل مزيداً من عنفٍ يؤدّي إلى موت. الصُور والألوان وحركة الكاميرا واللوحات الاستعراضية والأغنيات مسائل تُناقَش نقدياً، لكنّ الفيلم . الفاشل تجارياً، فإيراداته الدولية تساوي 40 مليوناً و269 ألفاً و174 دولاراً أميركياً فقط، في مقابل 100 مليون دولار أميركي ميزانية إنتاج . يفتح ثقباً في عتمة الصالة، ويحوّل المقاعد إلى ساحة مليئة بتمرّد شبابيّ، معطوف على عنصرية وعلاقاتٍ وحبّ ورقصات وسلطات، كثيرٌ منها يعكس حالة أميركية راهنة.

خارج النقد والتحليل، هناك تجربة مُشاهدة فيلم في صالة خالية كلّياً من المُشاهدين. باستثناء مُشاهدٍ واحد . يدخل الصالة بعد نصف ساعة على بداية «قصّة الحيّ الغربيّ»، ثم يُغادرها بعد نصف ساعة أخرى، ما يُوحي بأنّه ربما يكون موظّفاً في المجمّع السينمائي . تخلو الصالة من المُشاهدين، فيحلو لي التمتّع بهذا الفضاء الصامت من كلّ إزعاج يُحدثه مُشاهدو الصالات التجارية. تمتّع يتفوّق، وإنْ للحظاتٍ، على مُتعة المُشاهدة بحدّ ذاتها، ومُتعة الفيلم نفسه، ومُتعة التعمّق في كلّ ما يصنعه مخرج أميركي كستيفن سبيلبيرغ. خُلوّ الصالة كلّياً يثير مُتعةً، يكاد يستحيل وصفها. متفرّجو الأفلام التجارية، وبعضهم يدّعي هياماً بالسينما ونتاجاتها، لا يأبهون بما يُفترض بهم التزامه عند مُشاهدة فيلم في صالة. هذا يحول دون تردّدي على الصالات منذ أعوامٍ طويلة، ودون مشاركتي زملاء مهنة في عروضٍ صحافية قديمة، فسلوك بعض الزملاء في الصالة أسوأ من سلوك متفرّجي الأفلام التجارية، وأسوأ من سلوك بعض مُشاهدي أفلام «صالة فنّ وتجربة»: ثرثرة، اتصالات هاتفية خلوية، تناول الـ«بوشار»، احتساء مشروبات غير روحية، حركات لا تهدأ، إلخ.

> دفءٌ وسكينةٌ وعزلةٌ تحصّن المُشاهدة من أيّ عطبٍ

الجلوس في وسطِ صالةٍ معتمة، يُلوّنها اشتغال سبيلبيرغ في سرده تلك القصّة، والفراغ الممتع الذي يصنعه غياب المتفرّجين، يسمحان بتنبّه أكبر وأعمق وأهدأ وأجمل إلى الشاشة الكبيرة. كأنّ الصالة الفارغة غرفة منزلية، تمتلئ دفئاً وسكينة وعزلة، وهذه كلّها تحصّن المُشاهدة من أي عطب أو حركةٍ، أو حتّى تنفّس، تُربك المُشاهدةُ وتُشوّه اندماجاً بها، وتُعطّل استسلاماً لعطاءات الشاشة الكبيرة.

لكنّ تجربة كهذه يندر أنْ تحصل أكثر من مرّة. لذّة اكتشاف أسرارها والإحساس بمتعها تنبع من عيشها للمرّة الأولى، ولمرة واحدة. اللذّة تختفي لاحقاً، وجمال عيش التجربة ثانيةً يضمحل، فكلّ هذا حاصلٌ، ولن تكون المرّة الثانية مفاجئة وحلوة وممتعة كالمرّة الأولى.

في 30 عاماً في مهنة النقد السينمائي، يحصل هذا للمرّة الأولى. لذا، سيبقى 14 ديسمبر/ كانون الأول 2021، بالنسبة إليّ، أجمل مُشاهدةٍ سينمائية.

ستيفن سبيلبيرغ في بلاتوه «قصّة الحيّ الغربيّ» في 19 يوليو 2019 (جيمس دفايني/GC Images/Getty)

«لا تنظر إلى الأعلى» لآدم ماكاي

تذكير بصريّ ساخر برعب يعيشه العالم

محمد بنعزيز

هذا فيلمٌ يُهاجم هذه اللحظة التاريخية. بينما تُروّج حكومات كلّ دول العالم للّحقنة الرابعة للقضاء على شرّ كورونا، تُروِّج «نتفليكس» لخطر ساحق سيقضي على الحياة البشرية عاجلاً. إنّهُ «لا تنظر إلى الأعلى» (2021) لآدم ماكاي.

التهديد بقرب نهاية العالم روّج له السرد الديني، وتُروِّج له ألعاب الفيديو وأفلام «القيامة الآن». النهاية صارت وشيكة. هناك عالِمان فلكيان يعرفان مصير العالم المُهدَّد بخطر هائل، بينما الرئيسة الأميركية وطاقمها منشغلان بمناورات انتخابية.

يتجوّل الفلكي، الدكتور راندل ماندي (ليوناردو ديكابريو)، رفقة العالِمة الفلكية الشابّة كايت دِبياشكي (جينيفر لورنس)، للتحذير من خطر وشيك. يبدو من أداء ديكابريو أنّ ماندي غير مُقتنع بمصدر الخطر. يحاول أنْ تتطابق نوايا الشخصية مع أفعالها. يرتعش بشكل مُبالغ فيه، لتُعدي حالته المتفرّجين، فيحتجرون. تمثّل الشابّة الدور الساذج لـ«كانديد». تقول حقيقةً واحدة، فيتحطّم المطعم الذي كانت فيه.

الفيلم تذكير ساخر بالرعب الذي نعيشه، عبر حَكْيٍ خيالي، التَقَط بذرته من واقعٍ معيش. حَكْيٍ يلعب بما يعرفه المتفرّج، لغوياً وبصرياً. بسبب سرعة الانفعال، يُهيمن إحساسٌ واحد على الجمهور. يذوب الفرد في القطيع المرعوب بسبب العدوى. يصير الفرد المتحضّر همجياً، يصرخ ويكسر، لأنّه يشعر بالعجز في مواجهة المُذَنَّب. لا جدوى من ارتداء الكمامة بطريقة سليمة، وغسل اليدين بالماء والصابون، والتباعد والتعقيم والتلقيح.

استخلص الدكتور ماندي العبرة مما وقع في المطعم، فانضمّ إلى عالَم الإعلام، وصار يظهر على التلفزيون. تولّد لدى الشخصية حافزٌ قويّ، فتحسّن أداء الممثل. شَذّب الدكتور لحيته ومعجمه وسلوكه. صار في مثل حماقة الدكتور في «فلامور» (1964) لستانلي كوبريك. في «لا تنظر إلى الأعلى»، عالِمة فلكية تجهل السياسة. تتكلّم، فتُثير فوضى. مُتخصّصة تخدير ثُوجِّه الشعب. مدير مكتب الرئيسة الأميركية يقتبس تصريحاته من «إنقاذ الجندي راين» (1998) لستيفن سبيلبيرغ.

«لا تنظر إلى الأعلى» فرصة للضحك على حجم غباء الجمهور. قبل مشاهدته، يُستعاد رعب عام 2020: كلّ مواطن حاذق يستخدم يده اليسرى للَمْس الأسطح المشكوك فيها بنقل العدوى، ويستخدم اليد اليمنى للَمْس أنفه. حينها، اقترح الرئيس الأميركي دونالد ترامب نقع رئات المرضى في «جافيل».

قبل الحجر الصحي الشامل منتصف 2020، من كان يتصوّر حجْر ملايين البشر خوفاً من فيروس تبلغ نسبة الشفاء منه 98،5 في المائة؟ من يستحقّ أن يدير رغبات الجمهور ومخاوفه: العلماء أم السياسيون؟ هل الذين يقولون الحقيقة في جُملٍ طويلة أشبه بمتاهة، أم الذين يعرفون ضبْطَ الرغبات والمخاوف وتوجيهها، للسيطرة عليها، بجُمَل قصيرة شعاراتية؟

تُقدّم ميريل ستريب وكايت بلانشيت شخصيتين في أقصى درجات الوقاحة. زعيمة السياسيين وزعيمة الإعلاميين في توافقٍ تام. بعد كلّ حماقة، تُطلقان ضحكة بلهاءَ لإخفاء حجم الاحتقار. هذا يستحقّه شعبٌ فيه من الحمقى أكثر من العقلاء، حسب ثيربانتس.

> حكومات تروّج للحقنة الرابعة ونتفليكس لخطر على البشر

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

ميريل ستريب: شخصية سياسية في أقصى درجات الوقاحة (تايلور هيل/فيلم ماجيك)

أفلام جديدة

■ Death To 2021 لجاك كْلاف وجوش روبن (نتفليكس): يستعيد عاماً أميركياً مليئاً بارتباكات وجنون وفوضى وانهيارات وخراب، وينتقد الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي والأفراد بحدّة وسخرية. كوميديا وتحليل سياسي اجتماعي نفسي بشكل وثائقي لكن مع ممثلين يؤدّون أدوار شخصيات ذات مناصب مختلفة، كالمؤرّخ والإعلامية والناشط في وسائل التواصل والصحافية، أبرزهم هيو غرانت وستوكارد تشانينغ (الصورة).

■ Wrath Of Man لغي ريتشي، تمثيل جايسون ستاتام (الصورة): ألسيد H رجل غامض، لا أحد يعرف شيئاً عنه وعن ماضيه. يعمل في شركة يقود إحدى شاحناتها الكبيرة لنقل الأموال من مدينة إلى أخرى. بارعٌ في مهنته، إذْ لديه حِيَل كثيرة لتجنّب اللصوص في الطرقات. مع هذا، سيقع ذات مرة في ورطةٍ كبيرة.

■ The Unforgivable لنورا فِنْغْشايت، تمثيل ساندرا بولوك (الصورة): بعد خروجها من سجنٍ أمضت فيه 20 عاماً بتهمة القتل، تَبدأ روث سلايتر البحث عن شقيقتها التي كانت في الخامسة من عمرها عند وقوع الجريمة. محاولة البحث تفتح جراحاً وتكشف حقائق مخبّأة، وتروي فصولاً من معاناة امرأة في انقطاعها عن العالم كما في عودتها إليه.

إنّه عامٌ جديد فأين الخلاص؟

إنّه عامٌ جديد. كلّ التمنّيات ستبقى مُعلّقة، فالواقع يفرض شروطاً غير متوافقة مع تمنيات، أبرزها إمكانية الخروج من خرابٍ يحلّ في العالم، ومن موتٍ وانهيار يصنعان يوميات بيروت، ولياليها المظلمة. الموت مُتنوّع الأشكال. الانهيارات كثيرة. الارتباكات الفردية منبثقةٌ من تمزّقات وخيبات وصدمات، تبدو كأنّها لن تنتهي. هذا ليس تشاؤماً، بل عيش. هذا ليس تشاؤماً كاملاً، فبعض المسائل يُنتج شيئاً من مُتع وتسلية، وقدرة على تمضية وقتٍ خارج القهر والألم.

السينما أبرز تلك المسائل. هناك قراءات وصداقات وسهرات أيضاً. كلّ مصائب العامين الفائتين عاجزةٌ عن أذيّة السينما، رغم ضرباتٍ موجعة بين حينٍ وآخر. إلحاحُ سؤال المُشاهدة وطقوسها وأساليبها غير مُهمّ، فتجاوزه حتميّ، لأنّ الهدف أسمى: المُشاهدة بحدّ ذاتها. أفلامٌ كثيرة تتهيّأ للعرض. مشاريع كثيرة تحتاج إلى لمساتٍ أخيرة لتكتمل، وأخرى ستُصوَّر قريباً. الصالات تستعيد حيويتها تدريجياً، وخطر الإقفال التام يخترقه رفض أصحاب صالاتٍ إغلاقها في فترة عيدي الميلاد ورأس السنة الميلادية، على الأقلّ، في مدنٍ مختلفة.

السينما تبقى ملاذاً وخلاصاً، رغم تعليقات فيسبوكية يدّعي كاتبوها براعة مُشاهدة تُتيح لهم إبداء رأي. تشويه وأخطاء ومزايدات تملأ فيسبوك، في مقابل ندرة ما يُحرِّض، فعلياً، على نقاشٍ هادئ. حملات ضد نتاجٍ متأتية من قراءةٍ خبرٍ أو معرفة حبكةٍ، لا من مُشاهدةٍ. الأسوأ كامنٌ في أنّ مهاجمي النتاج يسخرون من قولٍ يُطالب بالمُشاهدة قبل التعليق، خصوصاً عندما يتعلّق الأمر بقضيةٍ تمسّ جماعاتٍ. هؤلاء غير آبهين بالسينما، رغم ادّعاء يقول عكس ذلك. هؤلاء ينشطون لمجرّد إظهار التزاماتٍ لهم إزاء قضية، فيطرحون أنفسهم مناضلين من أجل حقّ، من دون أدنى انتباه إلى أنّ الصنيع السينمائي برمّته يؤدّي دوراً أساسياً في التعبير عن قضيةٍ، إنْ يمتلك الفيلمُ المقصود قضيةً.

هذه مُصيبة يُمكن تجاوزها، فللبعض القليل وعيٌ معرفيّ يُتيح له تعليقاً أو كتابةً يُثيران متعة القراءة، ويحثّان على نقاشٍ هادئ. للفيسبوك محاسنه أيضاً، إذْ يُعرِّي . يوماً تلو آخر . أفراداً يظنّون أنّ امتلاكهم معجماً ما، يسمح لهم بقول أيّ شيء، كيفما يكنْ.

نديم...